العراق إلى أين؟ العملية السياسية مآلها الفشل ولا مخرج لأمريكا إلاّ المبادرة الوطنيّة (2 من 2)

ليس أمام الإدارة الأمريكية سوى الخروج من العراق بأقل خسارة ممكنة.. وما يحدث فيه يهم السلام العالمي

العراق سيشهد بداية نهاية الامبراطورية الأمريكية وسيعقب تحريره زلزال كبير في المنطقة العربية

د. خير الدين حسيب*

من هم الذين تتكون منهم المقاومة الآن؟

الآن وفي ضوء ما تبدو الأمور، من هم الذين يشكلون حركة المقاومة الأساسية؟

إن المجموعة الأولى والأهم تسمى الجيش الإسلامي، والاسم ذاته يمكن أن يضلل، ذلك أنه ليس المقصود أن أيديولوجية هذه المقاومة هي أيديولوجية دينية، إنما كان من المناسب استخدام هذا الاسم في البداية واستمر استخدامه، وتتألف هذه المجموعة من ضباط وجنود سابقين في الجيش ومن خبراء من الصناعات العسكرية العراقية السابقة، ومن ضباط مخابرات سابقين في العراق. وحسب ما أعرف فإن هذه هي العمود الفقري للمقاومة وهي المخطط والمنفذ كما أشرت بإيجاز للقنابل على جانب الطريق التي أصبحت تسمى IEDاختصاراً لعبارة (وسائل Improvised Explosive Devices التفجير المرتجلة).

المجموعة الثانية هي «كتائب ثورة العشرين» إشارة إلى ثورة 1920. والمجموعة الثالثة تسمى «جيش المجاهدين»، والرابعة تسمى «جيش الفاتحين».

لا أريد أن أخوض في تفصيلات تقارير مختلفة عن المقاومة، ولكن اسمحوا لي أن اقتبس من واحد منها. يقول بيتر سبيغل (Peter Spiegle) في صحيفة «فايننشيال تايمز» يوم 15 شباط (فبراير) 2006: «لقد أصبحت المقاومة العراقية تحت سيطرة أربع مجموعات كبيرة منظمة تنظيماً جيداً وتملك وسائل اتصالات متطورة وقيادة مركزية مثيرة للدهشة».

وقدمت مؤسسة ستراتفور Stratfor ـ وهي مؤسسة ذات سمعة عالية لمعلومات المخابرات ـ تقييماً آخر تقول فيه «في السنوات القادمة ستقوم الحكومات وحركات حرب الفدائيين في أنحاء العالم بدراسة الدروس التي تعلمناها عن عجز العسكريين الأمريكيين عن التصدي سريعاً للمقاومة العراقية». من ثم لا جدوى من إنكار وجود وقوة وتوسع المقاومة العراقية.

يطرح السؤال غالباً عمَّ هي برامج هذه المقاومة وما هي أيديولوجيتها، إلخ. وإذا كنا لا نعرف على وجه اليقين أشياء معينة فإن هذا لا يعني أنها غير موجودة. لقد أعلنت المقاومة في آذار (مارس) 2004 برنامجها الأول، ومنذ ذلك الوقت زادت قدراتها.

9 ـ من هذا يتبين الاحتمال الأخير، وربما المؤكد، لفشل الحكومة القادمة في تحقيق الأمن والاستقرار وتحسين الخدمات الضرورية التي يحتاجها الشعب، وسيعكس ذلك نفسه على موقف الإدارة الأمريكية من العملية السياسية ومدى إمكانية الاعتماد عليها لتحقيق ولو انسحاب جزئي لقواتها من العراق، كما سيعكس ذلك نفسه على الشعب العراقي الذي كان يتوقع من خلال مشاركته في الانتخابات الأخيرة أن تؤدي إلى تحسين أوضاعه الأمنية والخدمات الرئيسية التي يحتاجها، وكذلك الفضل المتوقع لهذه الحكومة والبرلمان، وكجزء من العملية السياسية، في تحقيق التعديلات الدستورية والتي تمثل مطلباً لقطاع مهم من التكوينات السياسية في العراق. وسيؤدي كل ذلك إلى إحباط في أوساط كثيرة من الشعب العراقي وفقدانه الثقة في العملية الانتخابية وفي العملية السياسية عموماً والبدء في الاستعداد للنظر في حل بديل له غيرها.

10 ـ هذا هو الوضع الذي يواجه العملية السياسية والعيوب والنواقص والاختلالات في الجيش العراقي الجديد وقوات الشرطة الجديدة. فما الذي يمكن أن يتوقعه المرء من العملية السياسية الراهنة؟

سادساً: الأسباب الأخرى التي ستدفع أمريكا للانسحاب من العراق.

إضافة إلى الاحتمال الكبير، بل شبه المؤكد، لفشل ما تسميه أمريكا «العملية السياسية» في العراق فإن هناك أسباباً أخرى داخلية في أمريكا نفسها، وفي العراق أيضاً، يعتقد أنها ستضطرها للانسحاب من العراق.

ولكن قبل الدخول في تفاصيل هذه الأسباب، فلا بد من توضيح الصلة بين ما يتعلق بتلك الأسباب في داخل أمريكا نفسها وبين تلك التي تجابهها في العراق.

ومن المفيد التذكير بأن الذي سيقرر في النتيجة ويفرض انسحاب أمريكا من العراق هو الرأي العام الأمريكي الداخلي والمؤسسات التي تمثله في الكونغرس (مجلسا النواب والشيوخ) وكذلك مقدار ما ستحدثه المصاعب والإخفاقات التي تواجهها الولايات المتحدة في العراق على الرأي العام الأمريكي وعلى الكونغرس بمجلسيه وبالتالي على الإدارة الأمريكية نفسها، بفعل الضربات المتتالية للمقاومة الوطنية العراقية.

1 ـ المصاعب التي تواجهها الولايات المتحدة داخل العراق

أ ـ فشل «العملية السياسية»

سبق أن أشير سابقاً إلى الأسباب التي تدعو إلى الاستنتاج بأن الاستراتيجية الأمريكية داخل العراق والمتعلقة بـ«العملية السياسية» مآلها الفشل. وسينعكس فشل العملية السياسية في العراق على الرأي العام الأمريكي التي تريد غالبيته عودة جنودها من العراق، وإن فشل هذه العملية السياسية سيؤخر هذه العودة.

ب ـ الضحايا البشرية الأمريكية في العراق

من المفيد التوضيح أن الجيش الأمريكي في العراق يضم أربع مجموعات رئيسية هي:

(1) الأفراد في الجيش الذين يحملون الجنسية الأمريكية، وهو حجم الذين تشملهم الإحصاءات التي تنشرها الولايات المتحدة عن ضحاياها في العراق من قتلى وجرحى فقط.

(2) الأفراد المتطوعون في الجيش الأمريكي والذين لا يحملون جنسية أمريكية، ولكن لديهم بطاقة إقامة دائمة في الولايات المتحدة (البطاقة الخضراء Green Card) ويأملون من تطوعهم في الجيش الأمريكي أن يحصلوا عند انتهاء مدة التطوع على الجنسية الأمريكية. والضحايا البشرية (من قتلى وجرحى) من هذه المجموعة لا تنشر ولا تشملها الإحصاءات التي تُنشر عن المجموعة الأولى فقط.

(3) الأفراد المتطوعون في الجيش الأمريكي ممن ليس لديهم جنسية أمريكية أو إقامة دائمة، وهم يأملون من تطوعهم أن يحصلوا بعد انتهاء مدة تطوعهم على إقامة دائمة في الولايات المتحدة أو جنسية أمريكية. والضحايا البشرية من قتلى وجرحى من هذه المجموعة لا تنشر ولا تشملها الإحصاءات التي تُنشر عن المجموعة الأولى.

(4) المقاولون Contractorsالذين يضمهم الجيش الأمريكي للقيام ببعض الخدمات التي تقوم بها الجيوش عادة، مثل الحراسة والخدمات الأخرى المتعلقة بمعيشة الجيش، ويقدر عدد هؤلاء بنحو (20) ألف مقاول ونسبة كبيرة منهم من الأمريكيين وقسم آخر منهم من المرتزقة غير الأمريكيين. ولا تنشر أرقام القتلى والجرحى من هؤلاء المجموعة.

وقد بلغ عدد القتلى من الذين يحملون الجنسية الأمريكية من المجموعة الأولى حتى الآن حوالي (2400) ألفين وأربعمائة فرد، كما بلغ عدد الجرحى حوالي (18000) ثمانية عشر ألفاً، وأكثر من نصف هؤلاء، وحسب تقارير وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) لا يستطيعون العودة إلى الجيش بعد معالجتهم. كما أن هناك تقارير أمريكية تشير إلى أن عدد الجرحى هو أكثر من الرقم المعلن عنه رسمياً، وأنه قد يتجاوز الخمسين ألفاً. وتنعكس كل هذه الخسائر البشرية (من قتلى وجرحى) على عوائل هؤلاء داخل الولايات المتحدة وعلى الرأي العام الأمريكي الداخلي بشكل متزايد.

ج ـ الهروب من الجيش الأمريكي واللجوء إلى بلدان أخرى نتيجة للحرب

تقدر التقارير الأمريكية الأخيرة أن حوالي ثمانية آلاف (8000) من أفراد الجيش الأمريكي قد هربوا من الجيش، ومعظمهم بعد عودتهم إلى الولايات المتحدة لغرض استبدالهم بغيرهم لفترة ثم عودتهم ثانية إلى العراق، وأن حوالي أربعة آلاف منهم قد هربوا إلى كندا وطلبوا اللجوء السياسي هناك. وينعكس هذا سلبياً على الرأي العام الداخلي الأمريكي.

د ـ الصعوبات المتزايدة في تحديد مدة التطوع وتجنيد متطوعين جدد

يواجه الجيش الأمريكي نقصاً في عدد المتطوعين المطلوبين للجيش، وإن نسبة متزايدة من المتطوعين في الجيش الأمريكي يرفضون تمديد مدة تطوعهم، كما يواجه الجيش الأمريكي صعوبة في الحصول على العدد الشهري المطلوب من المتطوعين رغم تمديدهم لسن التطوع ورغم تسهيل الشروط المطلوبة في المتطوعين.

هـ ـ زيادة حالات الأمراض العصبية وحالات الانتحار لدى القوات الأمريكية في العراق

فقد كانت آخر الأرقام التي نُشرت أن هناك حوالي (600) مجند أمريكي تم ترحيلهم من العراق إلى الولايات المتحدة بسبب أمراض عصبية، كما أن نسبة الانتحار بين المجندين من القوات الأمريكية في العراق هي أعلى من أية نسبة حدثت في حروب أمريكية أخرى.

وينعكس هذا العامل سلبياً على عوائل هؤلاء داخل الولايات المتحدة نفسها، وبالتالي على جزء من الرأي العام الأمريكي.

و ـ الخسائر الأمريكية في المعدات وتقادمها

بلغت خسائر الولايات المتحدة في العراق أكثر من (60) ستين طائرة هليوكوبتر من أنواع مختلفة وطائرات استطلاع أسقطتها المقاومة العراقية، وأكثر من ألف آلية بأنواعها وعربات مصفحة وسيارات شحن وغيرها دمرتها المقاومة العراقية. هذا إضافة إلى تقادم هذه الآليات، لأن معظمها هي من صنع أوائل الثمانينات وقد استخدمت في العراق لمسافات تزيد على ثلاثة أضعاف المسافة المقدرة لها عند صناعتها، وإن وزارة الدفاع الأمريكي (البنتاغون) قد طلبت من الكونغرس تخصيص (35) مليار دولار لاستبدالها، والتي سيتحملها في النتيجة دافع الضرائب الأمريكي.

ز ـ انسحاب معظم ما تسمى «قوات التحالف» مع الولايات المتحدة وبريطانيا

لقد شاركت قوات التحالف مع القوات الأمريكية والبريطانية في احتلال العراق، حيث انسحب معظمها، ويتوقع أن تنسحب بقية الدول المشاركة فيها، مثل إيطاليا واليابان، كما أن بريطانيا ستسحب (800) عسكري بريطاني من العراق قبل نهاية الشهر القادم، وستسحب بقية قواتها من العراق قبل نهاية السنة الحالية (2006). وهذا سيرتب على القوات الأمريكية أن تحل محل ما تسمى قوات التحالف التي انسحبت وستنسحب من العراق، وهذا ما سيؤدي، إضافة إلى العوامل الأخرى التي أشرنا إليها في هذا القسم، أن تضطر القوات الأمريكية إلى الانتشار في مناطق أوسع مما سيقلل من فعاليتها، إضافة إلى ما يحدثه الانسحاب من تأثير نفسي سلبي في الجندي الأمريكي.

ح ـ فشل الولايات المتحدة في تشكيل جيش وطني عراقي وقوات أمن أخرى عراقية وطنية

تشير التقارير الأمريكية المختلفة إلى هذا الفشل، وأن القسم الأغلب من هذه القوات هي من قبيل المليشيات التي يكون ولاؤها للأحزاب التي جاءت منها: المليشيات التابعة لقوات بدر، وجماعة أحمد الجلبي وغيرها، ومليشيات «البشمركة» التابعة للأكراد، وهذه كلها لا تمثل جيشاً وطنياً لأن ولاءها للأحزاب والقوى السياسية التابعة لها. وقد حدثت وقائع كثيرة تؤيد هذا التحليل، ولا يُتوقع أن تتمكن هذه القوات العراقية المختلفة التي شكلها الأمريكيون في العراق من العمل لوحدها وحفظ الأمن عند انسحاب القوات الأمريكية إلى خارج المدن الرئيسية وإلى القواعد التي شيدتها. وسيؤدي هذا إلى فشل ركن آخر أساسي من أركان استراتيجيتها في العراق.

2 ـ المصاعب التي تواجهها الولايات المتحدة في داخل أمريكا نفسها

وإضافة إلى الصعوبات التي تواجهها أمريكا في العراق نفسه، والتي ستعكس نفسها سلبياً، وبدرجات مختلفة، على الداخل الأمريكي نفسه، فإن هناك صعوبات أمريكية داخلية، نتيجة لحربها في العراق ستضطرها إلى إعادة النظر في استراتيجيتها في العراق والانسحاب منه، وتشمل هذه:

أ ـ الانتخابات النصفية في الولايات المتحدة

ستكون هناك في الولايات المتحدة انتخابات نصفية في تشرين الثاني (نوفمبر) 2006، حيث سيتم انتخاب جميع أعضاء مجلس النواب وكذلك انتخاب نصف أعضاء مجلس الشيوخ، وانعكاس الفشل على نتائج الانتخابات التي قد تكون لصالح الديمقراطيين وما يرتب عليه من مشاكل للإدارة الأمريكية (إدارة بوش) وخاصة الموقف من بقاء القوات الأمريكية بالعراق.

ب ـ انخفاض شعبية بوش الابن

وقد انخفضت شعبية بوش وتقييم الشعب الأمريكي لأدائه، بحيث أن آخر استطلاع للرأي العام الأمريكي يشير إلى أن شعبيته قد انخفضت إلى اوطأ نسبة خلال الولاية الثانية لأي رئيس أمريكي سابق، (32) بالمائة.

ج ـ مطالبات الرأي العام الأمريكي بانسحاب القوات الأمريكية من العراق

ترى أغلبية الشعب الأمريكي الآن أن غزو العراق واحتلاله كان خطأ، وترى هذه الأغلبية الآن ضرورة انسحاب الجيش الأمريكي من العراق، ومنهم من يرى أن يتم الانسحاب الآن فوراً ومنهم من يرى الانسحاب خلال السنة الحالية (2006).

كما تعالت أصوات شخصيات سياسية وعسكرية مطالبة بالانسحاب من العراق، مثل بريجنسكي، وسكوكروفت (المستشار الأمني للرئيس بوش الأب سابقاً) وكيسنجر، وانضم إليه مؤخراً المرشح الديمقراطي السابق للرئاسة (كيلي) الذي طالب مؤخراً بانسحاب القوات الأمريكية من العراق خلال شهر واحد.

كما طالب ستة من الجنرالات الأمريكيين السابقين الذين سبق أن اشتركوا في الحرب على العراق أو المساهمة في التخطيط لها، باستقالة السيد رامسفيلد، وزير الدفاع، وحملوه مسؤولية الفشل في الحرب على العراق.

د ـ زيادة الكلفة الاقتصادية للحرب في العراق

بلغت تكاليف القوات الأمريكية في العراق حتى 30 كانون الأول/ديسمبر 2005 (251) مليار دولار. كما زادت الكلفة الشهرية لنفقات الحرب في العراق على حوالي ستة مليارات دولار شهرياً، كما اضطرت الإدارة الأمريكية إلى طلب ميزانيات إضافية من الكونغرس لتغطية النفقات المتزايدة لحربها في العراق، وزاد العجز في الميزانية السنوية للولايات المتحدة إلى أكثر من (400) أربعمائة مليار دولار سنوياً، كما انخفض سعر الدولار الأمريكي في حدود 30 ـ 40 بالمائة نتيجة لحرب العراق ونفقاتها. كما زادت وتضاعفت تقريباً قيمة استيرادات الولايات المتحدة من النفط من (124) مليار دولار عام 2003 إلى حوالي (235) ملياراً عام 2005، ويتوقع أن تصل إلى ما يزيد قليلاً على (292) مليار دولار عام 2006. كما زاد عجز ميزان المدفوعات الأمريكي نتيجة لكل ذلك، وكذلك الدين العام لأمريكا. وقد قدر تقرير أخير صدر أوائل نيسان/أبريل 2006 أعده اثنان من اقتصاديي أمريكا، أحدهم جوزيف ستيغليز Joseph E. Stiglitz من جامعة كولومبيا والحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد، والثانية ليندا بيلمز Linda Bilmesمن جامعة هارفارد، أن الكلفة الاقتصادية لحرب أمريكا في العراق، حسب مشهدين (سيناريوهين) أحدهما متحفظ والثاني معتدل، ما بين واحد واثنين تريليون دولار (التريليون يساوي ألف مليار).

هـ ـ تكاثر الفضائح السياسية والمالية لدى الإدارة الأمريكية الحالية

ابتداء من قضايا التعذيب في أبو غريب وغيرها واستمراره حتى الآن وفقدان مصداقية الرئيس بوش ونائب الرئيس تشيني ووزير الدفاع رامسفيلد، وقضايا الفساد التي ارتكبتها القوات والإدارة الأمريكية في العراق، والتي كشفت عنها تقارير المفتش العام الأمريكي المعين من قبل الكونغرس الأمريكي، والحديث عن مليارات الدولارات التي لا توجد وثائق صرف قانونية تؤيدها، وقسم كبير منها من أموال العراق نفسه، وإساءة استعمال نائب الرئيس تشيني لمنصبه لإعطاء معظم العقود لإعادة الإعمار والتجهز في العراق إلى شركة مقربة وكان يترأس مجلس إدارتها سابقاً نائب الرئيس تشيني. وكذلك تسريب معلومات تضر بخصوم الإدارة الأمريكية وكان آخرها ما يتعلق بموضوع محاولة العراق الحصول على اليورانيوم من نيجيريا والتي ثبت عدم صحتها، إضافة إلى فرض رقابة على هواتف بعض الأمريكيين في الولايات المتحدة دون الحصول على إذن قانوني والذي يعتبره بعض أعضاء الكونغرس خرقاً للقانون، والذي قد يترتب عليه إذا ما فقدت الأغلبية المحدودة نسبياً للجمهوريين مجلسي الكونغرس، فإن هناك احتمالاً كبيراً أن يطالب أعضاء الكونغرس الديمقراطيين بالطعن في الرئيس واتهامه بخرق الدستور وطلب تنحيته.

و ـ زيادة متاعب الولايات المتحدة في أفغانستان بزيادة نشاط طالبان، وارتفاع حجم ضحاياها النسبي هناك.

ز ـ التغييرات السياسية التي تحصل في عدد كبير من دول أمريكا اللاتينية، والتي تمثل «الحديقة الخلفية» للولايات المتحدة، والتحول المتزايد في دولها في اتجاه اليسار.

ح ـ ولكل هذه الأسباب السابقة فإن قيام الرئيس بوش الابن ـ بعد أن أصبحت قضية العراق وتأثيراتها على الانتخابات النصفية القادمة في تشرين الثاني (نوفمبر) القادم هي التي ستقرر مصيره ومصير حزبه ـ بمعالجة هذه التداعيات والانسحاب من العراق، سيضع مصيره ومصير حزبه في الميزان.

سابعاً: الخيارات المتاحة أمام الولايات المتحدة في العراق

ولذلك فإنه كلما قرب موعد الانتخابات النصفية الأمريكية، ومع فشل العملية السلمية في العراق ومع تدهور وضع الإدارة الأمريكية داخل أمريكا وفي العراق نفسه، فإن الولايات المتحدة ستكون مضطرة لأن تقوم بعمل ما في العراق ينقذ وضعها وسيكون أمامها ثلاثة خيارات رئيسية.

1 ـ الخيار الأول: هو أن تفتش عن وسيلة لسحب قواتها من العراق قبل موعد الانتخابات النصفية في تشرين الثاني (نوفمبر)، بحيث تحفظ لها بعض ماء الوجه، وهنا تصبح «المبادرة» مطروحة على بساط البحث الجدي من قبل الولايات المتحدة.

2 ـ الخيار الثاني: هو أن تتلكأ الإدارة الأمريكية في اقتناص فرصة المبادرة، وأن تتدهور الأوضاع الأمنية في العراق مع شلل الحكومة العراقية وربما انهيارها إلى درجة لا تترك لها مجالاً للمفاوضة، فتقوم بسحب جيشها من العراق بدون اتفاق مسبق مع الحكومة المنهارة أو المقاومة، وأن تترك العراق لمصيره وهي ما تسمى بالمصطلحات الأمريكية السائدة (القطع والهروب Cut and Run) مع ما قد يترتب على ذلك من تداعيات في داخل العراق. وقد تلجأ في هذه الحالة إلى تشكيل «حكومة إنقاذ وطني» من خارج «العملية السياسية» والبرلمان الحالي، وإلى أن تضع على رأسها شخصية عسكرية قوية.

3 ـ الخيار الثالث : أن تحاول «سياسة الهروب إلى الأمام» وأن تقوم بتوجيه ضربة جوية واسعة لإيران تركز فيها على منشآتها النووية والعسكرية، مع احتمال استعمال أسلحة نووية تكتيكية في تلك الضربة، مع ما قد يترتب على ذلك من توقف تصدير النفط الإيراني كلياً أو جزئياً، وضرب إيران للقواعد العسكرية الأمريكية في العراق ومنطقة الخليج عموماً، وإغلاق مضيق هرمز مع ما قد يترتب عليه من إيقاف تصدير النفط من بعض دول الخليج الأخرى من خلال مضيق هرمز. وسيساعد على تحقيق هذا السيناريو (المشهد) هو أن الإدارة الأمريكية تقوم بتجييش الرأي العام الأمريكي لهذا الغرض، كما فعلت قبل غزو العراق، حيث تدل استطلاعات الرأي العام الأمريكي الأخيرة على أن 65 بالمئة من الأمريكيين يؤيدون توجيه ضربة جوية إلى إيران، كما تؤكد تصريحات الرئيس بوش أنه قد يضطر لتوجيه ضربة إلى إيران حتى بدون قرار من مجلس الأمن.

ولكن هذا السيناريو وتوجيه ضربة جوية واسعة إلى إيران لن ينقذ الولايات المتحدة من المستنقع العراقي، وقد يعطيها بعض الوقت ولكنه لن يحل مشكلتها في العراق، وستعود العوامل المشار إليها سابقاً فيما يتعلق بمتاعبها في داخل أمريكا وفي العراق إلى تأكيد وجودها وأهميتها. كما أن هناك ما يشير، حسب تقرير سيمور هرش الأخير، إلى أن القيادات العسكرية الأمريكية الحالية في البنتاغون (وزارة الدفاع) قد هددت بالاستقالة إذا ما قرر الرئيس الأمريكي المضي قدماً في توجيه ضربة جوية لإيران.

4 ـ ولذلك يعتقد بأن الخيار الأول سيكون أفضل الخيارات العقلانية المتاحة للولايات المتحدة انطلاقاً من مصلحتها المتاحة بعد فشلها في العراق.

ثامناً: المبادرة

تجاه هذا الوضع ومن أجل التحضير للخيار الأول، بذلت محاولة لمعالجة هذا الوضع، ولإنقاذ العراق وإيجاد نوع من حفظ ماء الوجه للولايات المتحدة.

لقد عملنا في مركز دراسات الوحدة العربية على برنامج للعراق بعد التحرير، استغرق تقريباً كل عام 2005، ثم عقد مؤتمر ـ وصفناه بأنه ندوة ـ في نهاية شهر تموز (يوليو) 2005 بحضور 108 من العراقيين من مختلف الميول السياسية ثلثهم من عراقيي الداخل والثلث من خارج العراق. وقد ناقشوا هذه البرامج وعلى أساس مناقشتهم وتعقيباتهم وضعنا هذا البرنامج في صيغته النهائية كبرنامج تتبناه المقاومة العراقية كجزء من مبادرة سأشير إليها لاحقاً. وقد نشر هذا البرنامج بالعربية وبالإنكليزية. وهذا البرنامج يتضمن مشروع دستور جديد ومشروع قانون المفوضية العليا للانتخابات، ومشروع القانون المتعلق بالجمعيات الأهلية والأحزاب السياسية، وإعادة بناء العراق وصناعة النفط وسياسته في العراق، والتعويضات المالية المفروضة على العراق، والإعلام في العراق وإعادة بناء الجيش، والمسألة الكردية.

بالإضافة إلى هذا واستعداداً لاحتمال توقع فشل العملية السياسية فإننا أطلقنا مبادرة من أجل حل الأزمة الراهنة، مبادرة تعكس إرادة ورأي المقاومة الوطنية العراقية والقوى السياسية الأخرى المعارضة للاحتلال. وأعتقد أننا وزعنا النص الكامل لهذه المبادرة على الحضور، وينبغي النظر إليها في علاقتها بالبرنامج الذي أشرت إليه.

وهذه المبادرة تحتاج من الولايات المتحدة إلى التسليم بالانسحاب الكامل من العراق خلال فترة زمنية محددة، وأن لا تقيم أي قواعد عسكرية دائمة في العراق وأن يصدر قرار من مجلس الأمن الدولي وبضمانته بتعيين شخص رئيس وزراء في العراق يكون محايداً وليس له علاقة بأية أطراف سياسية، وتشكيل حكومة من التكنوقراط غير منتمين لأي حزب سياسي في العراق، وتكون هناك فترة انتقالية لمدة سنتين، وخلال السنة الثانية يتم إصدار قانون انتخاب وتتم انتخابات في العراق لمجلس تشريعي، وخلال الفترة الانتقالية يكون هناك مجلس استشاري من 100 ـ 150 شخصاً، وأن تلتزم الولايات المتحدة والتي هي مسؤولة عن الدمار الذي حصل في العراق بتقديم تعويض للعراق بمبلغ 50 مليار دولار للعراق، وهو أقل من كلفة الحرب لمدة سنة، كما تلتزم المملكة المتحدة (بريطانيا) بتقديم 20 مليار دولار. ويتم وقف إطلاق النار عندما يصدر قرار مجلس الأمن وتنسحب القوات الأمريكية إلى القواعد وفي آخر الستة أشهر تنسحب كلياً. هذه المبادرة تلزم أطراف المقاومة عندما يصدر قرار الأمم المتحدة بأن يكون هناك وقف إطلاق النار، وبعد الستة أشهر أي بعد أن يتم انسحاب القوات الأمريكية تقوم المقاومة بحل نفسها.

أما المقاومة الآن، وهذا ما لم يرد في تقارير أنتوني كوردسمان أو تقارير مجموعة الأزمات الدولية، فإضافة إلى العمليات التي تقوم بها، هناك قسم خاص بمثابة قيادة عامة للقوات المسلحة العراقية تعد للجيش العراقي الذي يستلم بعد انسحاب الأمريكيين من العراق. وهناك في المبادرة تفاصيل حول كيفية التعامل مع الأطراف المختلفة. والمبادرة تتضمن «جزرة» مقدمة لأمريكا بأن تعامل بعد الانسحاب فيما يتعلق بمشاريع إعادة الإعمار في العراق وأي مقاولات موجودة معاملة متساوية مع الأطراف الدولية الأخرى دون أي تحيز ضدها. وفيما يتعلق بالمحاكمة التي تتم حالياً حول الرئيس صدام حسين وبعض معاونيه، فالمبادرة تطرح أن كل المخالفات التي تمت من عام 1958 حتى الآن أي بعد ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 تنشأ بشأنها لجنة خاصة وكل من عنده شكاوى أيا كان نوع هذه الجرائم سياسية أو غيرها، يقدم إلى هذه اللجنة الشكاوى. وهذه اللجنة تقوم بإجراء التحقيق اللازم، وبعد أن يتم انتخاب برلمان في نهاية السنة الثانية يحدد كيفية التعامل مع هذه الجرائم، وهل يتعامل معها على طريقة جنوب أفريقيا أو طريقة شمالي إيرلندا أو عن طريق لبنان أو أية طريقة أخرى يقررها في هذا الشأن.

هذه هي عموماً النقاط الرئيسية وهي في 21 نقطة في المبادرة، وهي مطروحة شرط أن تؤخذ ككل متكامل. فما هي حظوظ هذه المبادرة؟

إنني أعتقد أنه ليس أمام الإدارة الأمريكية سوى الخروج من العراق بأقل خسارة ممكنة، وقد تتساءلون لماذا اهتمام مركز دراسات الوحدة العربية واهتمامي أنا بالعراق؟ الشيء الوحيد الذي اتفق فيه مع ما قالته كوندوليزا رايس في كل الفترة الأخيرة، أن العراق مهم ليس للعالم العربي فقط ولكنه مهم للنظام العالمي ككل. ولذلك فإن اهتمامي بالعراق هو اهتمام بقضية المركز المحورية. قد تجدونني متفائلاً، وأنا متفائل أكثر من أي وقت مضى، وأعتقد أن العراق سيشهد بداية نهاية الامبراطورية الأمريكية وسيعقب تحرير العراق زلزال في المنطقة العربية كلها. فإن شاء الله نلتقي بعد سنة أو أكثر ونرى إلى أي حد ستكون هذه التوقعات في محلها أم لا؟ وكل ما أستطيع أن أقوله إن كل كلمة ذكرتها هي نتيجة قناعة خاصة، ولم أحاول أبداً أن أخفي أثناء كلامي بعض الحقيقة وأعطي نصف الحقيقة، ولكن ما قلته هو نتيجة قناعتي ونتيجة المعلومات المتوافرة لدي. قد أكون مخطئاً في تحليلاتي وفي استنتاجاتي لكن هذه هي قناعاتي. وكأي باحث آخر فإن المستقبل سيبين إذا كانت هذه التحليلات والتوقعات في مكانها أم لا.

ربما تتساءلون ما هي فرص هذه المبادرة لتحظى بالقبول أو لتتعاطى معها الإدارة الأمريكية؟ إن هذه المبادرة والبرنامج المصاحب لها قد أعدا ـ كما قلت ـ بالتشاور مع المقاومة العراقية ومع الأحزاب والجماعات السياسية الرئيسية المعارضة للاحتلال، كاستعداد لمرحلة ما بعد اخفاق العملية السياسية. ونحن نعرف أن الولايات المتحدة لن تأتي الآن لتجلس إلى طاولة المفاوضات، إنما سيحدث هذا بعد أن تكون قد اقتنعت بفشل العملية السياسية. عندئذ ستبحث عن حل آخر للخروج من العراق، وعن طريقة للخروج من المستنقع الذي تجد نفسها فيه. ونحن نعتقد أنه بسبب انتخابات منتصف المدة المقبلة في تشرين الثاني/نوفمبر القادم فإن الإدارة الأمريكية ستحاول أن تجد حلاً كي لا تفقد أغلبيتها في كلا مجلسي الكونغرس.

هذه مبادرة سلمية تعطي للإدارة الأمريكية ما ينقذ ماء الوجه، فإذا لم يكن هذا مقبولاً فإن المقاومة ستستمر، وأعتقد أنها ستلجأ في النهاية إلى أسلوب تحرير المدن، وتحرير مدينة بعد أخرى، بما في ذلك بغداد، وستُجبر القوات الأمريكية على المغادرة.

إنني لآمل لأجل العراق والشعب العراقي، ولأجل أرواح الأمريكيين أيضاً، أن تسترد الولايات المتحدة عقلانيتها ـ ما أن تقتنع بفشل العملية السياسية ـ وأن تبدأ التفاوض على هذه المبادرة. وشكراً لكم.

---

* مدير مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت

(*) النص هو عبارة عن ثلاث محاضرات ألقاها خلال الأسبوع الأول من شهر نيسان/أبريل الماضي أثناء زيارته لواشنطن بدعوة من «مركز الدراسات العربية المعاصرة» التابع لجامعة «جورج تاون» بالعاصمة الأمريكية. وقد ألقيت المحاضرة الأولى (بالإنكليزية) في الجامعة، والثانية (بالعربية) في الجامعة أيضاً، وألقى الدكتور حسيب الثالثة (بالإنكليزية) أمام «مركز تحليل السياسة الفلسطينية» (الذي كان قد أسسه المفكر العربي الراحل هشام شرابي). وستنشر في عدد ايار (مايو) الحالي من مجلة «المستقبل العربي»